التمهيد : طرق دخول الشيعة والخوارج إلى الأندلس

المبحث الأول : الشيعة .

المبحث الثانى الخوارج .

المبحث الأول : الشيعة

وردت مادة شيع في كتاب الله في إثني عشر موضعاً [1]،وذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا} [الأنعام، آية: 159.]وقوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ} [الحجر، آية: 1.]وقوله: {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا}[القصص، آية: 4، قال ابن جرير الطبري {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} يعني بالشيع: الفرق [2] ، وقوله:{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا}[الروم، آية: 69.].

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: {هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ}[القصص، آية: 15].

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ}[مريم، آية: 69.]، وقوله:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ}[القمر، آية: 51.]، وقوله: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم}[سبأ، آية: 54.]. وقوله: {إِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ}[الصافات، آية: 83.].

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً}[الأنعام، آية: 65.]"[3].

وزاد الدامغاني وجهاً خامساً وهو: الشيع والإشاعة،واستشهد لهذا بقوله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا} يعني أن تفشو الفاحشة.

ومن أعجب العجب أن تجد الشيعة يقولون في تفسير قوله سبحانه: {إِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ}[الصافات، آية: 83.]قالوا: أي إن إبراهيم من شيعة علي [4].

---

(1) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1364هـ ، ص 18.

2أنظر : تفسير الطبري ، 27/20 ؛ أبو عبيدة : مجاز القرآن ، 194/1.

(3) نقلا عن ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر، 376-377.

4 -أنظر : البحراني: تفسير البرهان: 20/4، وانظر: تفسير القمي، 323/2 ؛ عباس القمي: سفينة البحار، 732/1، البحراني: المعالم الزلفى ، ص: 304، الطريحي: مجمع البحرين ، 356/2.

وقد نسبوا هذا التفسير – كذباً وافتراءً – إلى جعفر الصادق، ودينه وعلمه ينفيان ذلك.

قلت : وأهل السنة قالوا في تفسير الآية إن إبراهيم من شيعة نوح عليه السلام وعلى منهاجه وسنته (1).

وقال الألوسي: "وذهب الفراء إلى أن ضمير (شيعته) لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والظاهر ما أشرنا إليه (وهو أن يعود على نوح عليه السلام) وهو المروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وقلما يقال للمتقدم: هو شيعة للمتأخر (2).

وورد لفظ الشيعة في السنة المطهرة بمعنى الأتباع.. كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في الرجل [هو: ذو الخويصرة التميمي.. أصل الخوارج.الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "لم أرك عدلت.." قال فيه عليه الصلاة والسلام: "سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه".. (3) .

وأما ما ورد فى بعض الأحاديث من لفظة الشيعة ونسبتها لأتباع على بن أبى طالب ، وكذا لفظة الرافضة ، فهذه أحاديث لا تصح بحال وكلها بين الضعيف والموضوع كما ذكر أرباب الحديث .

وقد نبه ابن تيمية إلى كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة، لأن اسم الرافضة لم يعرف إلا في القرن الثاني الهجرى (4).

1-انظر: تفسير الطبري، 69/23 ؛ ابن الجوزي: زاد المسير، دار ابن حزم – المكتب الإسلامي، 67/7 ؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، 13/4، تفسير القرطبي ، 91/15.

2-أنظر : روح المعاني ، 23/ 99-100.

3-أنظر : مسند أحمد ، 3/12-5 . قال عبد الله بن الإمام أحمد: ولهذا الحديث طرق في هذا المعنى صحاح. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة ، 454/2، قال الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات.

4أنظر : منهاج السنة ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط1 ، 1406هـ/ 1986 م ، 8/1.

وفي مصنفات الحديث الشيعية يتكرر في كثير من رواياتهم وأحاديثهم التي ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمتهم لفظ الشيعة كمصطلح يدل على فرقتهم، وعقيدتهم، وأئمتهم، ذلك أنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي غرس بذرة التشيع وتعهدها بالسقي حتى نمت وأينعت [1]بل زعموا أن لفظ الشيعة – كمصطلح لطائفتهم – معروف قبل زمن الرسالة ، فقد جاء في أحاديثهم تفسير قوله سبحانه: {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ} أي: إن إبراهيم من شيعة علي، بل بلغ بهم الزعم إلى القول: "إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي، وأخذ عهد النبيين على ولاية علي" وأن "ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء" [2] .

الشيعة لغة واصطلاحا :

يقول ابن دريد (ت 321ه) : "فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالأته عليه"[3].

وقال الأزهري (ت 370ه): "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم .... ويقال: شيعت فلاناً أي: خرجت معه لأودعه، ويقال: شيعنا شهر رمضان بست من شوال أي: أتبعناه بها.. وتقول العرب: آتيك غداً، أو شَيعَهُ أي: اليوم الذي يتبعه، والشيعة التي يتبع بعضهم بعضاً، والشيع الفرق الذي يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين" [4].

---

(1)أنظر : الكلينى ، الكافي، تحقيق على أكبر الغفارى ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط5 ، 1/286-328.

2 أنظر : أصول الكافي ، 1/437 ؛ البحراني:تفسير البرهان ، 1/26.

(3) أنظر : جمهرة اللغة ، 3/63.

(4) أنظر : تهذيب اللغة ، 3/61.

وقال الجوهري : "تشيّع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع قال ذو الرُّمة: استحدث الركب عن أشياعهم خبراً.يعني عن أصحابهم" (1).

وقال ابن منظور (ت711ه) : "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة .... (2).

وقال الزبيدي (ت 1205ه) قولا قريبا من الأقوال السابقة وزاد قائلا : " وقد غلب هذا الاسم (أى الشيعة) على كل من يتولى علياً وأهل بيته.. وهم أمة لا يحصون، مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين أبى بكر وعمر، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة" (3)

فالشيعة ، والتشيع ، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو المهالأة عليه. ثم غلب هذا الاسم– على حد قول ابن منظور والفيروز آبادى والزبيدى – على كل من يتولى علياً وأهل بيته.

وقد عقب احد الباحثين النابهين على ذلك بقوله " وهذه الغلبة.. محل نظر؛ لأنه إذا تأمل الباحث في المعنى اللغوي للشيعة والذي يدل على المتابعة، والمناصرة، ثم نظر إلى أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا الاسم عليها يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من الناحية اللغوية؛ لأنها غير متابعة لأهل البيت على الحقيقة بل هي مخالفة لهم ومجافية لطريقتهم" (4).

---

(1) أنظر : الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، 1240/3.

(2) أنظر : لسان العرب ، مادة: شيع.

(3) أنظر : تاج العروس ، 405/5 ؛ الفيروزابادى :القاموس المحيط ، 47/3.

(4) أنظر : ناصر القفارى ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، ص

قلت : وهذا هو الصواب الذى لا انفكاك عنه فكم من مخالفات قام بها الشيعة لأهل البيت على ما سنوضح لاحقا بشأن سب الصحابة والقول بتحريف القرآن ، والموقف من أم المؤمنين عائشة وغير ذلك كثير .

ومن ثم وجدنا شريك بن عبد الله حينما سأله سائل: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي! فقال له: نعم من لم يقل هذا فليس شيعياً، الله لقد رقي هذه الأعواد علي، فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، فكيف نرد قوله، وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذاباً (1)

فالإمام شريك لاحظ أن غير المتابع لعلي لا يستحق اسم التشيع، لأن معنى التشيع وحقيقته المتابعة.. ولهذا آثر بعض منظرى الفرق أن يطلق عليهم اسم الرافضة (2).

وقد ترك الشيعة الأول – المتابعون لأهل البيت حقيقة- اسم الشيعة لما صار لقباً للروافض والإسماعيلية، ولقبوا أنفسهم بـ "أهل السنة والجماعة" (3).

أخذ التعاطف مع أهل البيت طريقه إلى الأندلس مع الأفواج الأولى من المسلمين الذين وطأوا أرضها في أيام الفتح الأولى (92-95هـ/711-714م) ، لا سيما بعد واقعة كربلاء ، وبعد مطاردة الأمويين للشيعة بالمشرق . الأمر الذى دفع بعض المتشيعين إلى التسلل إلى جيوش الفتح ومن ثم القيام ببعض الجهود التبشيرية ، ولعل تواجد بعض التابعين ومنهم حنش بن عبد الله الصنعاني (ت 100هـ/718م) الذي كان من أصحاب الإمام عليفي

---

(1) انظر: عبد الجبار الهمداني : تثبيت دلائل النبوة ، دار المصطفى ، القاهرة ، 1/63.

(2) انظر: الملطي : التنبيه والرد ، التنبية والرد ، تحقيق محمد زينهم ، القاهرة – مكتبة مدبولى 1413هـ، ص18؛ البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة الساعي، الرياض 1409هـ/1988م ، ص21 ؛ الإسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق كمال الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1983م ، ص 16؛ السكسكي : البرهان فى معرفة عقائد أهل الإيمان ، تحقيق بسام سلامة ، ط2 ، 1417هـ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ص 36.

(3) الألوسى :مختصر التحفة الإثنى عشرية، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ص 8.

الكوفة ، ومن أهل الفضل والثقة [1]كانت مقدمة للتعاطف مع أهل البيت بداية ثم التحول من حالة التعاطف إلى حالة التشيع لاحقا .لا سيما أن الأندلس خلال الفترة التي دخلها حنش الصنعاني وهي عهدي الفتح والولاة، لم تعرف تسلطاً مذهبياً أو سياسياً لانشغالهم بالفتوحات، وبالتالي كان من الممكن أن يمارس صاحب أي عقيدة نشر عقيدته بدون أي ضغوط كما حدت في العهود التالية.

ولعل هذه الحقيقة التى نحن بصددها – مسألة التعاطف مع أهل البيت- تتأكد إذا وجدنا أنأبناء عمار بن ياسر وأبناء قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري والي الإمام علي ، وأحفاد مالك الأشتر جميعهم دخلوا إلى الأندلس فى الفترة الأولى . فلا شك أنهم كانوا نواة للتعاطف معهم بحكم الصلة التى ربطتهم بأهل البيت ليس إلا فى بداية الأمر.

بل إن دخول هشام بن الحسين بن إبراهيم بن الإمام جعفر الصادق إلى الأندلس حيث نزل لبلة[2]يؤكد ما ذكرناه آنفا من وجود تربة خصبة للمتعاطفين مع أهل البيت . إذ لم يكن للتشيع أى وجود حتى هذا التوقيت .

كان لتواجد الشخصيات آنفة الذكر من محبى أهل البيت وأهل القرب منهم أثر كبير فى وجود بعض المتشيعين الذين بدأوا يتكتلون لاحقا للقيام بمحاولات ثورية للسيطرة على الحكم بالأندلس من أهمّها ريثما نفصل الحديث عنها بالفصل الثالث من دراستنا هذه: –

1- ثورة عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر, الذي ثار على عبد الرحمن الداخل سنة 143هـ والتي انتهت بمقتل قائدها من قبل عبد الرحمن الداخل .

2- ثورة المكناسي وهو شقنا او شقيا بن عبد الواحد المكناسي, و هذا الرجل ادّعى انه فاطمي تسمّى بعبد الله بن محمد، وكانت ثورته من اخطر الثورات على الامويين وأطولها

1ابن حبيب : كتاب التاريخ ، تحقيق خورخي أغوادي، مدريد 1991م ، ص138-139؛ وانظر: ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس، تراثنا، القاهرة، 1966م ، ص109.

2-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م ،60/3.

عمراً و لم يتمكن الأمويون من القضاء عليه بالمواجهة المباشرة بل إنهم اشتروا بعض الذمم التي دبرت اغتياله سنة 160هـ .

3- ثورة معاوية بن أحمد القط الذي أظهر التأثر بدعوة الفاطميين بعد قيام دولتهم في المغرب وأعلن ثورته سنة 288هـ في منطقة الحوف.

4- ثورة أبي الخير والتي ظهرت في عمق الأندلس وكانت ثورة فاطمية أخرى وقد كان زعيمها يذيع بأن قتال بني أمية وفقهاء المالكية أفضل من قتال الأعداء وكان يُنقل عنه قوله: " ما كان أملي من الدنيا إلا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء واقتل من بها وأقوم بدعوة أبي تميم وكذلك يكون".

ورغم أن الأندلس فُتحت من قبل الأمويين وكانوا هم من يعينون عليها الولاة إلا أننا لم نلاحظ أي موقف لهؤلاء الولاة في الأندلس تجاه التشيع للأسباب التالية:-

1-أن عهد الولاة (95-138هـ/ 714-755م) في الأندلس امتاز بكونه عهد فتح وجهاد لرفع راية الله أكبر ونشر الإسلام.

2-أن التشيع دخل إلى الأندلس فى فترة لم تكن فيها مضايقات سياسية أو مذهبية أو فكرية .

3-أن المغرب كان تابعاً إدارياً للخلافة الأموية في بلاد الشام، ولم يشهد خلال هذه الحقبة التاريخية صراعات سياسية أو مذهبية كما في الحُقب التالية، ومعروف أن المغرب كان له إنعكاساً واضحاً على الأندلس[1].

وتجدر الإشارة إلى أن دخول التشيع إلى الأندلس كان من خلال الطرق التالية :

أولاً:-دخول بعض البيوت العربية إلى الأندلس والتي كانت تدين بنصرة آل علي من قبل فظلت فيها هذه النزعة متوارثة .

1كاظم عبد : الشيعة في الأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ذي قار، 2008، ص1-2.

ثانياً:- القبائل البربرية:- حيث كان المغرب تربة خصبة للدعوات الشيعية، وقد تردد صدى التشيع في الأندلس لأول مرة بين صفوف البربر الذين شاركوا العرب في الفتح، وأستأثر دونهم العرب بمغانم الانتصار وثمراته، وقد استوطن البربر على الأغلب في المناطق الجبلية والهضاب المرتفعة لاسيما الممتدة في وسط شبه الجزيرة، وهي التي كانت تعرف "الجوف" وكذلك المناطق الجبلية في جنوب شرق الأندلس في كورة البيرة، في حين نزل العرب في الوديان الخصبة والسهول، وقد كانت المناطق البربرية ميداناً لجميع الثورات الشيعية التي عرفتها الأندلس. ومن أشهر القبائل البربرية (المغاربية) والتي تشيعت هي كتامة، نفزه، صنهاجه وغيرها. وكان لظهور دولة الأدارسة (172هـ/789م)والدولة الفاطمية بالمغرب (296هـ/909م) الأثر الكبير في نقل الثقافة الشيعية إلى الأندلس وسيتم تفصيل الحديث عن دورهما في هذه الدراسة.

ثالثاً:-رحلة الأندلسيين إلى المشرق الذين نقلوا طرفا من الثقافة الشيعية ، ومنهم محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى (ت 221هـ) [1] ، وعباس بن ناصح الثقفي الشاعر الذي أوفده الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة 201 في التماس الكتب القديمة ،ومحمد بن مسرة القرطبي (ت 319هـ) الذى قضى فترة من حياته الدراسية في القيروان حين بلغ نشاط الدولة الفاطمية أوجه من الناحية السياسية والإعلامية وقد تأثر بالعقيدة الإسماعيلية ، ومحمد بن حيّون الحجاري (ت 305هـ)الذي لم يكن يذهب مذهب مالك وكان معاصروه يتهمونه بالتشيع [2]، ويبدو أنه كان حريصاً على كتمان مذهبه حتى لا يتعرض للاضطهاد من قبل الأمويين والفقهاء وعملاً بمبدأ التقية الذي كان أصلاً من أصول الشيعة.

1ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة 1100.

2ابن الفرضي : المصدر السابق، ترجمة 1164، وانظر : الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة – بيروت 1410هـ/1989م ، ترجمة 15.

رابعاً:-رحلة بعض المشارقة إلى الأندلس وقيامهم بنقل ونشر ثقافة أهل البيتأو قاموا بدور التجسس لمصلحة مواليهم الشيعة أو ممارسة التجارة أو طلب العلم أو السياحة الصوفية.ففي نهاية القرن الثالث وأثناء القرن الرابع الهجري انتشر دعاة جواسيس للدولة الفاطمية في العديدمن الأقطار الإسلامية وكان الفاطميون في المغرب يجسون النبض ويترقبون للهجوم إما شرقاً نحو مصر أو شمالاً نحو الأندلس ولهذا دخل كثير من دعاة وجواسيس الدولة الفاطمية إلى الأندلس ليعملوا على استطلاع أحوالها والتعرف على مداخلها ومواطن الضعف فيها ودراسة نظمها السياسية والاقتصادية والدينية ثم محاولة نشر فكرهم بقدر ما وسعهم ومن أشهر الذين وصلوا الأندلس:أبو اليسر الرياضي أول الجواسيس المشارقة ، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ، وابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م) ، وسنفصل الحديث عنهم وعد دورهم بالفصل الأول من هذه الدراسة.

خامساً:-قيام الدول الشيعية في المغرب والأندلسكبنى زيرى حكام غرناطة ، وبنى حمود الذين ظهروا فى فترة الخلافة وتولى بعضهم الحكم كعلى بن حمود وأخيه القاسم من بعده ، ثم أسسوا إمارة لهم بمالقة بعد ذلك .

المبحث الثانى الخوارج

قال الشهرستاني: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان) ([1]).

ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه. قال الأشعري: (والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب)

زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن.

وعرفهم بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابعى التابعين أولهم نافع بن الأزرق ، وهذا التعريف لأبي إسحاق أطفيش يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى –الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم كما يزعم– وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة 64هـ، وهذا التعريف غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية، ويبقى الراجح هو التعريف الثاني؛ لكثرة من اعتمده من علماء الفرق في تعريفهم لفرقة الخوارج، وقيام حركتهم ابتداءً من خروجهم بالنهروان، وهو ما يتفق أيضاً مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقاديه أحدثت في التاريخ الإسلامي دوياً هائلاً.

والخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس وقد أطلقت كلمة الخوارج هذه في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين أو على الإمام علي رضي الله عنه. فيقول الأزهري في "تهذيب اللغة": " والخوارج: قوم من أهل

1أنظر : الملل والنحل ، خرجه محمد بن فتح الله بدران ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص195.

الأهواء لهم مقالة على حدة " ، وهو تعريف ابن منظور والفيروزآبادي أيضاً ، ويقول الزبيدي عنهم: " هم الحرورية والخارجية طائفة منهم، وهم سبع طوائف سموا به لخروجهم على الناس أو عن الدين أو عن الحق أو عن علي كرم الله وجهه بعد صفين" .

أما عن دخول هذا المذهب إلى الأندلسفكان فى ولاية عبد الملك بن قَطَن الفِهْرِيّ للأندلس للمرَّة الثانية 123هـ/742م[1]، والتى حفلت بأحداث جسام، كادت أن تعصف بالإسلام في الأندلس كلية، كان أخطرها تجدُّد الصراع العنصري البغيض بين العرب والبربر، وظهور طائفة الخوارج، الذين أشعلوا الحرب وقادوا الثورة على عمال بني أمية، الذين أساءوا استعمال السلطة والمعاملة مع البربر؛ مما أتاح للبربر اعتناق تلك الأفكار الخارجة عن الدين؛ فقد وجدوا فيها مناصًا لنيل حقوقهم المغتصبة من جَوْر الولاة[2].

وقد بدأت الفتنة البربرية الكبرى في المغربعلى يد الخوارج، الذين تغلغلوا في صفوف البربر ونشروا تعاليمهم، التي لاقت قبولاً واسعًا في المجتمع البربري، الذي يُعاني من ظلم الولاة، فخرجوا بقيادة زعيمهم ميسرة المطغري –أو المدغري– على حاكم طَنْجَة عمر بن عبد الله المُرَادِيّ ;وقتلوه، وزحفوا إلى بلاد السوس في الغرب وقتلوا عاملها إسماعيل بن عبيد الله [3]، وقد دفعت هذه الصدمة عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية، أن يجيَّش جيوشه;

1ابن عذاري: البيان المغربفى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط1400،2هـ/1980م ، 30/2 ; وانظر : المقري : نفح الطيب ، 236/1.

2حسين مؤنس: فجر الأندلس ، دار المناهل ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ/2002م ، ص170-173.

3ابن عذارى : مصدر سابق ، 52/1. كان المطغرى شيخ قبيلته والمقدم فيها، وهي قبيلة مدغرة أو مطغرة، بطن من قبيلة مكناسة إحدى بطون زناتة. قام عبيدة السلمي بتولية أربعة ولاة على الأندلس (حيث كانت ولاية الأندلس تابعة لولاية المغرب) وفي عهد هشام بن عبد الملك عزله وولى بدلاً منه عبيد الله بن الحبحاب السلمي الذي كان جائراً مع الأمازيغ مما أدى إلى قيام الثورات في المغرب .فأرسل البربر ميسرة المضغري على رأس وفد إلى الشام لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك والشكاية له عن مايحدث لهم من طرف الولاة، وكان وزير هشام بن عبد الملك هو الأبرش الكلابي فمنعهم من مقابلة الخليفة. غضب الوفد مع ميسرة وعادوا إلى شمال أفريقيا وأعلنوا الثورة وقتلوا والي هشام بن عبد الملك على طنجة واتبعوا دعوة الخوارج الصفرية وتولى أمرهم ميسرة واحكم قبضته على بلاد البربر.

ليتدارك الأمر قبل فواته ، فالتقى الفريقان من العرب والبربر عند وادي شليف، وكانت الهزيمة المنكرة للعرب; فقد قُتِلَ فيها أشرافهم وفرسانهم وأبطالهم; لذلك سميت بمعركة الأشراف وذلك سنة 123هـ=742م [1]

ولما بلغت أخبار الهزيمة الخليفة هشام بن عبد الملك، فغضب غضبته الشهيرة; وقال: " والله! لأغضبنَّ لهم غضبة عربية، ولأبعثنَّ لهم جيشًا أوله عندهم وآخره عندي " [2] ، وقد عزل هشامُ بن عبد الملك الوالى عبيدَ الله بن الحبحاب، واستقدمه في جمادى الآخرة سنة 123هـ، وبعث كلثوم بن عياض القُشَيْرِيّ على رأس جيش بلغ ثلاثين ألفًا، وعَهِد له بولاية إفريقية وضَبْط أمورها، وجعل معه ابن أخيه بَلْج بن بشر القُشَيْرِيّ، وثعلبة بن سلامة العَامِلِيّ[3]، واستعدَّ الجيشان العربي بقيادة كلثوم بن عياض والبربري بقيادة خالد بن حميد الزَّنَاتِيّ، واقتتلوا قتالاً شديدًا، لكن دارت الدائرة على العرب، وقُتِلَ قائدهم كلثوم بن عياض، واستطاع بَلْج بن بشر أن ينجو بنفسه وبعضًا من جنده، وتحصَّنوا بمدينة سَبْتَة، وفرض البربر الحصار على بَلْج ومَنْ معه لمدَّة سنة كاملة 123، 124هـ، وكانوا طوال هذا العام يستغيثون بعبد الملك بن قَطَن والي الأندلس، ولكن بلا مجيب [4]

لم تلبث الثورة أن انتقلت إلى بربر الأندلس، الذين أعلنوا العصيان، وبدءوا بجِلِّيقِيَّة وأستورقة في الشمال الغربي للأندلس حيث الكثافةالبربرية، فقتلوا العرب وطردوهم من البلاد، إلاَّ ما كان من سَرَقُسْطَة فقد كانت الغلبة فيها للعرب[5] .

1ابن عذاري: مصدر سابق ، 1/53.

2 نفسه ، 1/54.

3 ابن عذاري: البيان المغرب 1/54، 55، 2/30 ; وانظر : المقري: نفح الطيب ، 3/20.

4 مجهول: أخبار مجموعةفى فتح الأندلس ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع 1414هـ/1994م، 37-42 ; وانظر : المقري: نفح الطيب 3/20، 21.

5مجهول: أخبار مجموعة ، ص42.

وبعد أن ثَبَّت البربر أقدامهم في تلك المناطق، زحفوا باتجاه المدن الكبرى للسيطرة عليها من خلال ثلاثة جيوش، وَفْقَ خُطَّة ذكية أدركت مواطن الضعف في الولاية الأندلسية، وعملت على استغلالها:

الأول: إلى طُلَيْطِلَة عاصمة الثغر الأدنى.

الثاني: إلى قُرْطُبَة عاصمة الأندلس.

الثالث: إلى الجزيرة الخضراء في أقصى الجنوب للبلاد .

وأمام هذا الزحف البربري لم يجد عبد الملك بن قَطَن بُدًّا من الاستعانة ببَلْج وأصحابه المحاصرين في سَبْتَة، وقد كان لا يرضى أن يُغيثهم، ولا يرضى أن يُنزلهم الأندلس حتى أكلتهم المجاعة، فبعث إليهم بالسفن والمئونة، وسمح لهم بالعبور إلى الأندلس; لإخماد الثورة البربرية، التي كادت أن تعصف به [1] وكانت المواجهة الأولى بين بَلْج بن بشر والجيش الأمازيغي البربري الثالث المتجه ناحية الجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس، وقد وقعت المعركة في ذي القعدة من عام 113هـ على مقربة من شَذُونَة، وأثبت فيها الجنود الشاميون بقيادة بَلْج بن بشر شجاعة وإقدامًا، رجَّحت كِفَّة النصر فيها للعرب، وفي التوقيت نفسه كانت قُرْطُبَة تصدُّ هجمات الجيش الأمازيغي البربري الثاني، وبمجرَّد أن انتصر بَلْج بن بشر على الجيش الثالث لحق بقُرْطُبَة فقاتل مع عبد الملك بن قَطَن الجيشَ البربري الثاني، فهزماه هزيمة ساحقة، حتى لم يبقَ من الأمازيغ البربر إلاَّ الشريد، الذي لحق بالجيش الأول المحاصر لطُلَيْطِلَة، وهناك عند وادي سليط جرت معركة طاحنة سُحق فيها الجيش البربري الأول، وسُحقت ثورتهم، وتشتَّت جمعهم، وتفرَّقوا في البلاد، ولم تقم لهم بعدها قائمة[2].

1نفسه ، ص42، 43.

2مجهول: أخبار مجموعة ص43، 44 ; وانظر : ابن عذاري: سابق ، 31/2 ; حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص174، 176.

أما عن موقف الشعب الأندلسى وأهل العلم من الشيعة والخوارج فيتمثل فى التالى :

أولا :بخصوص الشيعة فإن الشعب الأندلسى وأهل العلم كانوا على مذهب الإمام مالك ولا يرون إلا رأيه حتى بلغ بهم الأمر أن قالوا لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك ، وفى قرطبة كان العمل بأقوال ابن القاسم أحد أصحاب مالك ، ولكى نتعرف على موقف الشعب الأندلسى وأهل العلم فلابد أن نعرض لرأى مالك وصاحبه ابن القاسم فى الشيعة .

ذكر القاضى عياض أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لمالك: هل لمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الفيءحق؟ قال: لا ولا كرامة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: ((لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ)) [الفتح:29]، فمن عابهم فهو كافر، ولا حق للكافر في الفيء، واحتج مرةأخرى بقوله تعالى :((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ)) [الحشر:8]، قال: فهم أصحابرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وأنصاره، ((وَالَّذِينَ جَاءُوامِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَسَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لِلَّذِينَ آمَنُوارَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) [الحشر:10]، فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه (1).

وقال أشهب سئل مالك عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون(2).

وقال أيضا : شر الطوائف الرافضة (3).

وقال مالك : أهل الأهواء كلهم كفار وأسوأهم الروافض .قيل النواصب ؟ قال : هم الروافض رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء (4).

1أنظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر، طرابلس، 2/ 64 .

2ابن تيمية : منهاج السنة ، 60/1.

3نقلا عن المقرى : نفح الطيب ، 307/5.

4نقلا عن عياض : مصدر سابق ، 49/2.

وقال هشام بن عمار: سمعت مالكاً يقول: " من سب أبا بكر وعمر قتل، ومن سب عائشة -رضي الله عنها قتل، لأن الله تعالى يقول فيها: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) من رماها فقد خالف القرآن،ومن خالف القرآن قتل" (1).

وقال الإمام مالك : ومن شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال وكفر , قتلوإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكّل نكالاً شديداً .

وقال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين) (2).

وقال مالك: (الذي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس له سهم -أو قال: نصيب- في الإسلام) (3).

وقيل للإمام مالك: فإن قال رجل: أنا أذهب إلى حديثأبي أيوب (حُبب إليّ الغسل) قال: نحن لا نذهب إلى قول أبي أيوب، ولكن لو ذهب إليهذاهب صلينا خلفه، قال: إلا أن يترك رجل المسح من أهل البدع من الرافضة الذين لايمسحون وما أشبهه، فهذا لا نصلي خلفه...) (4).

وروى ابن القاسم عن الإمام مالك أن الإمام لو كبر التكبيرة الخامسة فى صلاة الجنازة لا يتّبع فيها; لأنها من شعار الشيعة (5).

1عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، 2/1109 ; وانظر : القرطبى : التفسير ، 12/205 ; ابن حجر : الهيثمى ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، ص384.

2ابن تيمية : الصارم المسلول ، ص580.

3نقلا عن الخلال : السنة ، 2/492 ; ابن بطة : الإبانة الصغرى ، ص162.

4نقلا عن تفسير القرطبى ، 11/140.

5نقلا عن القرافى : الذخيرة ، تحقيق سعيد إعراب ، دار الغرب الإسلامى ، ط1 ، 1994م، 2/463.

ثانيا : بخصوص الخوارج : تشدد المالكية فى بداية الأمر مع الخوارج حيث أفتى الإمام مالك بقتل الخوارج وأهل القدرمن أجل الفساد الداخل في الدين ، كقطاع الطريق ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا على إفسادهم ، لا على كفرهم[1] ، ومن ثم فقد تابع فقهاء المالكية إمامهم حيث أفتى بعضهم أن المعتنق للأباضية يستتاب وإلا قتل ، والبعض الآخر ذهب إلى أنهم فى النار ونهى عن الصلاة خلفهم وقال بأن الأباضى كالكافر يقتل بغير استتابة ، ومنهم من نهى عن تعليم الخوارج وأولادهم القرآن والكتب الشرعية [2] ، وقد انتقد أحد الفقهاء المالكية الخوارج في تصويبهم الرأي القائل بوجوب الخروج عن الإمام الجائر بقوله: " فهو إما غير مؤمن أو خارجي من مجوس هذه الأمة " [3] ، وطبقا للمعمول به فى الأندلس من أن أهلها لم يتفاعلوا مع مذهب كتفاعلهم مع مذهب مالك فقد طبقوا قول مالك وأقوال أصحابه أيضا بشأن الخوارج.

ورغم هذه المعارضة الشديدة التى وصلت إلى حد القتل فقد اضطرت المالكية إلى التحالف مع الخوارج لمواجهة الفاطميين الشيعة ، وليس أدل على ذلك من تأييد فقهاء المالكية لأبى يزيد الخارجى مخلد بن كيداد فى ثورته ضد المنصور العبيدى الفاطمى كأبى الفضل الممسى الذي كان يقول: " إنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث

1نقلا عن ابن قدامة : المغنى ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي – عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ط3 ، 1997/1417 ، 8/9.

(2) أنظر: ابن سهل ، ثلاث وثائق فى محاربة الأهواء والبدع فى الأندلس ، دراسة محمد عبدالوهاب خلاف وآخرين ، المركز العربى للدول للإعلام ، القاهرة 1981م، ص32،27،26-34 ; الونشريسى ، المعيارالمغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت1401هـ/1981م،8/237 ; محمود مكى ، الخوارج بالأندلس ، مجلة تطوان ، المغرب ، 1956م ، العدد الأول ، ص171 .

3نقلا عن الونشريسى : المعيار ، 5/34.

معهم ولا ينسب إليهم" [1]، وربيع بن سليمان القطان الذي جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام حتى يقطع الله دولة بنى عبيد، وعندما عوتب في خروجه قال : " كيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني، فمن ذلك أني حضرت يوماً إشهاداً فيه جمع كثير أهل سنة ومشارقة، وكان بالقرب منّى أبو قضاعة الداعى، فأتى إليه رجل مشرقى من أعظم المشارقة، فقام إليه رجل منهم وقال له: إلى ها هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله، يعنى أبا قضاعة، فكيف يسعنى أن أترك القيام عليهم" [2] ، وأبو العرب بن تميم الذي حسم الأمر عندما تناظر الناس حول شرعية الخروج، فقال لهم :" اسكتوا، فسكت الناس فقال :حدثنى عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله يرفعه إلى النبى صلى الله عليه و سلم أنّه قال: "يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفّار" [3]، فلما تمّ الحديث كبّر الناس وارتفعت أصواتهم ثمّ خرجوا [4] ، وحتى أصحاب الأعذار أرادوا المشاركة فى القتال ولو بشكل رمزي، فأبو ميسرة الضرير مشى شاهراً السلاح في القيروان [5] ثمّ اجتمعوا وركبوا بالسلاح التام والبنود والطبول، وأتوا حتى ركّزوا بنودهم قبالة الجامع وكانت سبعة بنود، وحضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم أحمد بن أبى الوليد خطبة بليغة، وحرّض الناس على الجهاد وسبّ بني عبيد، وأعلم الناس بالخروج من غدهم، فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم[6].

---

1 المالكى : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي ،. دار الغرب الإسلامي ، بيروت . الطبعة الثانية ، 1994م ، 2/298.

2 نفسه ، 2/323.

3 الشيبانى : كتاب السنة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1993م، ص460.

4 المالكى : رياض النفوس ، 2/309.

5 القاضى عياض : ترتيب المدارك ، 3/317.

6 نفسه ، 3/318 .